



البيت المسلم هو قرار الأسرة، ومحل عبادتها، فشعائر الإسلام فيه ظاهرة، وحدود الله تعالى محترمة ومعظمها، وجل اهتمام الأسرة السعي إلى مرضاه الله وتحقيق العبودية التامة للواحد الأحد، فالصلوة فريضة ونافلة، وتلاوة القرآن وتديبه والتلقفه فيه، والالتزام بالضوابط الشرعية في التعامل داخل الأسرة وخارجها، والصدق والأمانة، والحجاب، والعفاف، ونظافة اللسان، والبعد عما يسخط الله، واختيار الجلساء والصحبة، كل هذه وغيرها عناوين في جبين أفراد الأسرة، وفي كيانها وأفعالها؛ لأنها الطريق الوحيد للسعادة في الدارين، والفوز بجنت النعيم.

ومعاناة الأسر في اختطاف أبنائها وتغيير سلوكياتهم، أو التأثير السلبي عليها من الآخرين كان محدودا قبل الانفجار الإعلامي المتمثل في البث المرئي والمسموع والمقرؤ، وبعد هذا الانفجار في العصر الحديث عانت الأسر والمصلحون والمربيون والدعاة كثيرا من هذه الوسائل؛ لأنها لم تقم على أساس إسلامية، بل نُقلت بصورتها ومناهجها وأساليبها من بلدان غير إسلامية بتغيير يسير لا يفي بالغرض، وكانت المدافعة حينها بين مد وجزر ونجاح وإخفاق، والأسر المتماسكة تنجو غالبا من التأثيرات القوية، ويسهل إلى حد ما إصلاح ما أفسدته هذه الوسائل؛ لأن التحكم بها مقدور عليه في الجملة، إما بتقنيتها أو بمنعها، وبخاصة إذا تعاون الآباء والأمهات على ذلك، وهذه الوسائل لا زالت قائمة، وتقوم بالدور نفسه لكنها أسوأ من حالها السابق بمراحل، تواكبا مع الانفلات الأخلاقي والقيمي والعقائدي على مستوى المعمورة، وهي بلا شك فتن يرقق بعضها بعضا.

وشارك في الإصلاح خلال العقد السابق القنوات الإسلامية المحدودة، وكان لها صدى مبارك، إلا أنها أقل مما يجب، ولا تفي بالغرض المأمول، لا كما، ولا كيفا.

وداهمنا خلال الخمس عشرة سنة الماضية وسيلة أدهى وأمر، رغم ما فيها من إيجابيات ومصالح على مستوى الأفراد والمجتمعات، إلا أن الطامة الكبرى أنها لا ترد يد لامس، ومفتوحة على مصارعها لكل ناعق ومفسد يريد اجتثاث الأمة من عقيدتها وأخلاقها، حتى طفح الكيل، إنها برامج الإنترن特 وما تتضمنه من وسائل التواصل الاجتماعي المرئي والمسموع والممروء، والتكنولوجيا الحديثة تصيف كل يوم وسيلة جديدة.

ولست هنا مقارنا بين المفاسد والمصالح التي جلبت إلينا عبر هذه الوسائل، أو في صدد إنكار فوائدها ونفعها، لكنني حاكيا الواقع أليم، يلمسه القاصي والداني، وتدركه كل أسرة، إن العكوف والتعلق الشديد بهذه الوسائل أضعاف الواجبات الشرعية والأسرية، وساعد في التفريط بالأعمال والخدمات المنوطبة بالمؤسسات والأفراد في مجال أعمالهم العامة منها والخاصة، وسلبت تفكيرهم وتركيزهم وإبداعاتهم، وسرقت منهم أوقاتهم التي هي أعماهم، وأطاحت بأخلاق كثير منهم بدرجات متفاوتة، بل وصل تأثيرها إلى العقائد، وبث الشبهات والشهوات والتشكيك في ثوابت الأمة ومناهجها، حتى غدا التمرد على الله وشرعه سمة من سمات هذا العصر، وهو يتمدد يوما بعد يوم.

ولا يكاد يسلم من تأثيراتها بيت مسلم إلا ما رحم ربى، وإن سلمت بعض البيوت فالجيرون والأصحاب والزملاء يبذلون خدماتهم وفزعاتهم لمن حرم منها، بل إن تأثيرها القاتل شمل الأطفال في بداية إدراكم، فيتربي الطفل على الموسيقى والأغاني والرقص وبنديه الكلام وتحسين الاختلاط والإعجاب بالأمم الكافرة، ناهيك عن الإزدراء بالدين، والتقليل من أهميته، ومتابعة المهرجين والضائعين والفاشيين من الفنانين والفنانات، وممن لا خلاق لهم في دين ولا علم، فتشبّع الكبار والصغار في متابعة الرذائل والقبائح وهو في غرف نومهم، وداخل مصلياتهم.

وأصبح هذا الصنف من البشر بمثابة القدوات لأبنائنا وبناتنا، يتبعون أخبارهم ويتفاعلون مع أحداث حياتهم، وكأنهم صحابة رسول الله، أو صلحاء الأمة وقدواتها، وقد سرت هذه المصائب إلى بعض من أكرمه الله بحمل كتابه في صدره، وتربي على الفضيلة والدين منذ نعومة أظفاره، حتى جاءت هذه الشياطين فاجتالتهم من فطرهم السليمة، وكسرت حاجز التدين والفضيلة، فوقع الجميع صرعى أو مأسورين إلا ما شاء ربك، وصار التناقض بين ماتربت عليه الأجيال من مكارم وفضائل وبين ما يمارس في هذه الوسائل من مفاسد وفجائع هو سيد الموقف في حالات من تغييب الوعي بما سيصل إليه الحال، لو تأملناها لرأينا جنایتها الكبيرة على أجيالنا وأمتنا، ليس أقلها التعلق بمن سبقت الإشارة إليهم، ممن لا خلاق لهم، فهل يرضى مسلم أن يكون هؤلاء قدواته ومحل اهتمامه؟

فمن رضي فإن القاعدة الشرعية في حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم "الماء مع من أحب" ويقول ربنا سبحانه "الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين".

وأما اختراق البيوت واصطياد الأبناء والبنات المراهقين والمرأة عبر المحادثات الذاتية باسم الصداقة أو التعارف فأمر خطير وأسلوب ماكر وضحى به أو ما ظهر منه نلمسه عبر الواقع الإخبارية صباحاً ومساءً، ووسيلة المجرمين والشاذين في الإيقاع بفريائهم أصبحت يسيرة، لا تتطلب تخطيطاً ولا جهداً، فبحسب الواحد منهم أن يرسل لهم مقطعاً أو مقاطع إباحية، أو يطلعهم عليها في أي مكان دون حياء أو خجل تمرينا لهم وكسرنا لخلق الحياة والعفة، وبعد هذه المقدمة الخسيسة يكشر عن أنابيه متطلعاً إلى نشر شذوذه بينهم بكل وقاحة، لاسيما من قلت خبرته منهم نظراً لصغر سنهم أو لسذاجتهم.

وهنا تقع الكوارث، وينتشر الفساد، وتعاني الأسر والمجتمعات وتنهدم أسسها، وما ظاهرة البرج والسفور والتحف من الحجاب الكامل للمتربيات على الفضيلة والعفة والستر ما هو إلا أثر ونتيجة حتمية لما تم الحديث عنه، وضيق الأخلاق وانتشار الجرائم العلنية والقتل لأتفه الأسباب من الطواهر التي لم يكن لها بروز قبل انتشار هذه الوسائل.

إن الوضع خطير وفي ازدياد، والذهول والجيرة يخيمان على أرباب الأسر والمصلحين والمربيين، وقد أناط الله بهم رعاية الخلق ونصحهم وحماية الأسر والمجتمعات من النار "يا أيها الذين أمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة" "كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمون بالمعروف وتنهون عن المنكر" وكثير من الفضلاء يشكوا ويتألم مما وصل إليه الحال، ويتطلع إلى حلول جذرية لهذا الواقع الأليم، وهو بتوفيق الله بيد قادة الفكر والعلم، وبيد من استأمنهم الله بقيادة أمتهم من ولاة الأمر وربان السفن، فاعتبروا يا أولي الأبصار بمن مضى من الأمم السابقة التي حل بها العقاب حين تخلت عن أمر ربها ورسله، نسأل الله الستر والسلامة، وإذا أراد بعياده فتنة أن يقبضنا إليه غير مفتونين.

مشاركات نور سوريا

المصادر: